

| | |
|-------------------|--|
| العنوان: | حجية القياس الأصولي عند ابن حزم الظاهري وأثره في الفقه |
| المؤلف الرئيسي: | النتشه، جودي صلاح الدين |
| مؤلفين آخرين: | أبو عيد، العبد خليل محمد(مشرف) |
| التاريخ الميلادي: | 1996 |
| موقع: | عمان |
| الصفحات: | 1 - 200 |
| رقم MD: | 550720 |
| نوع المحتوى: | رسائل جامعية |
| اللغة: | Arabic |
| الدرجة العلمية: | رسالة ماجستير |
| الجامعة: | الجامعة الاردنية |
| الكلية: | كلية الدراسات العليا |
| الدولة: | الاردن |
| قواعد المعلومات: | Dissertations |
| مواضيع: | ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، 384-456 هـ، أصول الفقه، الأدلة الشرعية، القياس، الأحكام الفقهية |
| رابط: | http://search.mandumah.com/Record/550720 |

للاستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب أسلوب الاستشهاد المطلوب:

أسلوب APA

النتشه، جودي صلاح الدين، و أبو عيد، العبد خليل محمد. (1996). حجية القياس الأصولي عند ابن حزم الظاهري وأثره في الفقه (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الاردنية، عمان. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/550720>

أسلوب MLA

النتشه، جودي صلاح الدين، و العبد خليل محمد أبو عيد. "حجية القياس الأصولي عند ابن حزم الظاهري وأثره في الفقه" رسالة ماجستير. الجامعة الاردنية، عمان، 1996. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/550720>

الجامعة الأردنية

كلية الدراسات العليا

حجية القياس الأصولي عند ابن حزم الظاهري وأثره في الفقه

إعداد

جودي صلاح الدين النشيه

إشراف

الدكتور: العبد خليل أبو عيد

قدمت هذه الرسالة إستكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير
في الفقه وأصوله بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية

كانون أول ١٩٩٦م

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٩٩٦ / ١٢ / ٢١ م وأجيزت

أعضاء اللجنة

التوقيع

١- الدكتور العبد خليل أبو عيد

٢- الأستاذ الدكتور محمد فتحي الدريني

٣- الدكتور زين العابدين العبد محمد نور

٤- الدكتور عبدالمعز حريز

.....
.....
.....
.....

الإهداء

إلى روح والديّ اللذين ربياني صغيراً

وغرسا فيّ حب العلم والعلماء شاباً

وإلى كل طالب علم ، اهدي هذه الرسالة

شكر وتقدير

الشكر لله أولاً وأخيراً الذي أعانني على إتمام هذه الرسالة ثم أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل الدكتور العبد خليل ابو عيد - حفظه الله - الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة ومنحني من وقته وجهده وعلمه الشيء الكثير فجزاه الله خير الجزاء.

واتقدم بالشكر والعرفان إلى الأساتذة الكرام فضيلة الأستاذ الدكتور محمد فتحي الدريبي وفضيلة الدكتور زين العابدين العبد محمد، وفضيلة الدكتور عبدالمعز حريز.

الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الرسالة رغم مشاغلهم الكثيرة فجزاهم الله خير الجزاء وبارك في وقتهم ونفع بهم.

كما لا أنسى أن أقدم شكري وتقديري إلى كل من مد إلى يد العون في إتمام هذه الرسالة.

محتويات الرسالة

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ب | - أعضاء لجنة المناقشة |
| ج | - الإهداء..... |
| د | - الشكر والتقدير..... |
| هـ | - محتويات الرسالة..... |
| ح | - ملخص الرسالة..... |
| ١ | - المقدمة..... |
| ٤ | - تمهيد : في التعريف بالمذهب الظاهري..... |
| ٥ | المطلب الأول: نشأة المذهب الظاهري وأسباب نشوئه..... |
| ٦ | أسباب نشأة المذهب الظاهري..... |
| ٩ | المطلب الثاني: التعريف بأهم رجال المذهب الظاهري..... |
| ٩ | داود الظاهري..... |
| ١٣ | ابن حزم..... |
| ٢٢ | المطلب الثالث: أصول المذهب الظاهري..... |
| ٢٢ | ١- الكتاب..... |
| ٢٢ | ٢- السنه..... |
| ٢٤ | ٣- الإجماع..... |
| ٢٨ | ٤- الإستصحاب..... |
| ٣٠ | المطلب الرابع: مدى إنتشار المذهب الظاهري..... |
| ٣٣ | المطلب الخامس: رأي المذاهب الأخرى في المذهب الظاهري..... |
| ٣٥ | الفصل الأول: موقف ابن حزم من الإجتهد بالرأي والقياس |
| ٣٦ | - تمهيد وفيه مطالب:..... |
| ٣٦ | المطلب الأول : تعريف القياس لغة وإصطلاحاً..... |
| ٤٨ | المطلب الثاني: أركان القياس عند الأصولين..... |
| ٦١ | المطلب الثالث: مذاهب العلماء في تعليل الأحكام..... |
| ٦٩ | المطلب الرابع: في قبول ابن حزم للقياس المنطقي مع رفضه للقياس الأصولي..... |

- المطلب الخامس: تعريف الاجتهاد ، والرأي لغةً وإصطلاحاً..... ٧٢
- المطلب السادس: موقف ابن حزم من الاجتهاد بالرأي..... ٨٢
- المبحث الأول: أدلة ابن حزم على نفي القياس الأصولي:..... ٨٧
- تمهيد..... ٨٧
- المطلب الأول: معنى حجية القياس..... ٨٧
- المطلب الثاني: مذاهب العلماء في حجية القياس..... ٩١
- إدلة ابن حزم على نفي القياس الأصولي من الكتاب..... ١٠٤
- إدلة ابن حزم على نفي القياس الأصولي من السنة..... ١٠٩
- إدلة ابن حزم على نفي القياس الأصولي من الإجماع..... ١١٢
- المبحث الثاني: أدلة الجمهور في إثبات القياس ورد ابن حزم عليها..... ١١٧
- أدلة الجمهور من الكتاب ورد ابن حزم عليها..... ١١٧
- أدلة الجمهور من السنة ورد ابن حزم عليها..... ١١٩
- أدلة الجمهور من الإجماع ورد ابن حزم عليها..... ١٢٨
- الترجيح..... ١٣٥
- المبحث الثالث: أسباب نفي ابن حزم للقياس..... ١٣٨
- السبب الأول: دعوى ابن حزم أن النصوص قد استوفت جميع الأحكام..... ١٣٨
- السبب الثاني: نفي ابن حزم للتعليل..... ١٤٠
- السبب الثالث: ثبوت بعض الأدلة عند ابن حزم على ابطال القياس..... ١٤٣
- الفصل الثاني: حجية دلالة النص عند ابن حزم الظاهري**..... ١٤٥
- المبحث الأول: تعريف دلالة النص عند الأصولين..... ١٤٦
- المبحث الثاني: أقسام دلالة النص وأمثلتها..... ١٥١
- المبحث الثالث: دلالة النص وعلاقتها بالقياس..... ١٥٣
- مذهب من يرى أن نوع دلالة النص على الحكم لفظية وأدلتهم..... ١٥٣
- مذهب من يرى أن نوع دلالة النص على الحكم قياسيه وأدلتهم..... ١٥٥

- ١٥٨-المبحث الرابع: نفي حجية دلالة النص عند ابن حزم الظاهري.....
- ١٦٢- المبحث الخامس: حجية دلالة النص عند الأصوليين ورد ابن حزم عليها
- ١٦٤- الترجيح.....

١٦٥ الفصل الثالث: أثر الخلاف في حجية القياس في الفروع الفقهية

وفيه مسائل:.....

- ١٦٦١- جريان الربا في غير الأصناف الستة.....
- ١٦٩٢- الخلاف في أقل الصداق.....
- ١٧١٣- إشتراط التقام الثدي في ثبوت الرضاع.....
- ١٧٣٤- الألفاظ التي يثبت بها الظهار.....
- ١٧٥٥- حد العبد المحصن.....

-

- ١٧٨الخاتمة.....
- ١٨٠- المصادر والمراجع.....
- ١٩٩- الملخص باللغة الإنجليزية.....

الملخص

حجية القياس عند ابن حزم الظاهري وأثره في الفقه

جودي صلاح الدين النتشه

اشراف: الدكتور العبد خليل أبو عيد

تبحث هذه الرسالة في حجية القياس الأصولي عند ابن حزم الظاهري وأثر ذلك في الفروع الفقهية، ومن المعلوم أن القياس هو المصدر الرابع من مصادر التشريع الإسلامي بعد الكتاب والسنة والإجماع عند جمهور الفقهاء والأصوليين، وخالف في ذلك ابن حزم الظاهري فأنكر القياس، فما الذي حمل ابن حزم على إنكار القياس؟ وماهي أدلته في ذلك؟ وموقفه من أدلة الجمهور على إثبات القياس؟ وما ترتب على هذا من خلاف في الفروع الفقهية.

كل ذلك في تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة:-

التمهيد : وكان في التعريف بالمذهب الظاهري واسباب نشوئه، وأهم رجاله وأهم مصادر التشريع عندهم، ومدى إنتشار هذا المذهب، وآراء العلماء فيه.

أما الفصل الأول : فقد تحدثت فيه عن تعريف القياس لغة وإصطلاحاً وبينت أركان القياس عند الأصوليين، ومذاهب العلماء في تعليل الأحكام، وكذلك عرفت الإجتهد بالرأي، وبينت موقف ابن حزم من الإجتهد بالرأي بشكل عام ثم بينت معنى حجية القياس، ومذاهب العلماء في حجية القياس، ثم عرضت أدلة ابن حزم على نفي القياس الأصولي، وموقفه من أدلة الجمهور في إثبات القياس مع المناقشة والترجيح، ثم ختمت هذا الفصل ببيان أسباب نفي ابن حزم للقياس الأصولي.

وفي الفصل الثاني: تناولت حجية دلالة النص وتعريفها عند الأصوليين وعند ابن حزم ثم تحدثت عن أقسامها والأمثلة عليها، وعلاقتها بالقياس، ثم عرضت أدلة ابن حزم على عدم حجية دلالة النص، وموقفه من أدلة الجمهور في القول بحجية دلالة النص كل ذلك مع المناقشة والترجيح.

وفي الفصل الثالث : أستعرضت أثر الخلاف في حجية القياس في الفروع الفقهية بين ابن حزم والجمهور مع ذكر أمثلة تطبيقية على ذلك.

وفي الخاتمة : أهم النتائج التي تم التوصل إليها في هذا البحث.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
وبعد: فإن مصادر التشريع الإسلامي المتفق عليها بين جمهور أهل العلم هي الكتاب،
والسنة، والإجماع، وأما القياس فقد وقع الخلاف فيه، فنفاه البعض كإبن حزم والظاهرية وبعض فرق
الشيعة، وأثبتته جمهور الفقهاء الأصوليين، فما الذي حمل ابن حزم على إنكار القياس؟ وما هي أدلته
في ذلك؟ وما الأسباب التي دفعته لذلك؟ وما موقفه من أدلة الجمهور؟

هذا هو السبب الرئيسي لاختياري هذا الموضوع .
ومن المعلوم أن نصوص الشريعة الإسلامية من الكتاب والسنة محدودة ومتناهية والحوادث
كثيرة ومتجددة، مع أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان وافية بحاجات الناس
وأغراضهم، لذلك لا بد من إعتبار القياس مصدراً من مصادر التشريع بعد الكتاب والسنة والإجماع،
إذ عن طريقه نجد لكل واقعة حكماً، وذلك بقياس ما لم يرد فيه نص، على ما ورد النص به، وذلك
بعد تحقق اشتراكهما في العلة.

قال الإمام أحمد: (لا يستغني أحد عن القياس)^(١).
وقال إمام الحرمين: (القياس مناط الإجتهد، وأصل الرأي، ومنه يتشعب الفقه وأساليب
الشريعة، وهو المفضي إلى الاستقلال بتفاصيل أحكام الوقائع مع إنتفاء الغاية والنهاية، فإن نصوص
الكتاب والسنة محصورة مقصورة ومواقع الإجماع معدودة مأثورة والرأي المبتوت المقطوع به
عندنا: أنه لا تخلو واقعة عن حكم الله تعالى، متلقى من قاعدة الشرع، والأصل الذي يسترسل على
جميع الوقائع القياس، وما يتعلق به من وجوه النظر والاستدلال فهو إذاً أحق الأصول بإعتناء الطالب،
ومن عرف [مأخذه] وتقاسيمه، وصحيحه وفاسده، وما يصح من الاعتراضات عليها، وما يفسد
منها، وأحاط بمراتبه جلاء وخفاء، وعرف مجاريها ومواقعها، فقد إحتوى مجامع الفقه)^(٢)
ومن هنا تظهر أهمية القياس في التشريع الإسلامي عند فقد النص لأن القياس لا يصح عند
وجود النص قال بعض العلماء نظماً: (إذا أعيأ الفقيه وجود نص تمسك لا محالة بالقياس)^(٣).
وقال الإمام الشافعي: (لا يحل القياس والخير موجود، كما يكون التيمم طهارة في السفر
عند الإعواز من الماء، ولا يكون طهارة إذا وجد الماء)^(٤).

(١) ابن قدامة، روضة الناظر وجنة المناظر، ص ١٤٧.

(٢) إمام الحرمين، البرهان في أصول الفقه ٧٤٣/٢ - ٧٤٤.

(٣) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله ٨٥/٢.

(٤) الإمام الشافعي الرسالة ص ٥٩٩ - ٦٠٠.

فالقياص لا يستعمل إلا عند الضرورة أي عند عدم وجود النص في المسألة ولا يقوم به إلا من كان على علم بمباحث القياص ومسالك العلة.

منهج البحث في هذه الرسالة:

- ١- عرضت الموضوع عرضاً مفصلاً واضحاً قدر الإمكان، كما أخذت أقوال الأصوليين من كتبهم قدر المستطاع.
- ٢- رجعتُ إلى المصادر القديمة من كتب الفقه والأصول كما رجعت إلى الكتب الحديثة وأنست بآراء أصحابها.
- ٣- لم أعتد في ترتيب المراجع في الحواشي على الترتيب التاريخي - حسب سنة وفاة المؤلف - وإنما بحسب درجة تناولها للموضوع، وغزارته.
- ٤- إستعرضت أدلة كل فريق وناقشتها حسب الحاجة، مع الترجيح في أكثرها، وذكر سبب الترجيح.
- ٥- عزوت الآيات الواردة في الرسالة إلى مواضعها من كتاب الله عز وجل.
- ٦- خرجتُ الأحاديث الواردة في الرسالة، فما كان منها في الصحيحين أكتفيت بالعزو إليهما أو إلى أحدهما، وما كان في غيرهما عزوته إلى مصدره مع ذكر أقوال علماء الحديث في ذلك.
- ٧- ترجمة لبعض الأعلام الواردة في الرسالة، ممن غلب على ظني عدم شهرتهم.
- ٨- عند التوثيق: أشير أولاً إلى إسم المؤلف ثم إسم المصدر، وهكذا وفق المنهج المتبع في ذلك.

الجهود السابقة في هذا الموضوع:-

لاشك أن العلماء قديماً قد بحثوا هذا الموضوع في ثنايا مصنفاتهم الأصولية والفقهية وبالذات في مباحث القياص، وقد قاموا بالرد على ابن حزم وتفنيد مذهبه، كما تعرض لذلك العلماء حديثاً ممن كتبوا في حجية القياص، أخص بالذكر منهم:-

الشيخ عيسى منون في كتابه نبراس العقول في تحقيق القياص عند علماء الأصول، والشيخ محمد أبو زهرة ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه، والدكتور عمر مولود حجية القياص في أصول الفقه، والدكتور محمد محمود فرغلي في كتابه بحوث في القياص.

وقد جاءت الرسالة في تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة:

- أما التمهيد: فقد خصصته للتعريف بالمذهب الظاهري وأسباب نشوئه وأهم رجاله، كما تناولت مصادر التشريع عندهم بإيجاز، ثم بينت مدى إنتشار هذا المذهب، وختمت هذا التمهيد بذكر آراء العلماء في المذهب الظاهري.

- أما الفصل الأول: فقد تناولت فيه تعريف القياس لغة وإصطلاحاً، وبينت أركان القياس عند الأصوليين، ومذاهب العلماء في تعليل الأحكام، وكذلك عرفت الإجتهد بالرأي، وبينت موقف ابن حزم من الإجتهد بالرأي بشكل عام ثم بينت معنى حجية القياس، ومذاهب العلماء فيها، ثم عرضت أدلة ابن حزم على نفي القياس الأصولي، وموقفه من أدلة الجمهور في إثبات القياس ثم ختمت هذا الفصل ببيان أسباب نفي ابن حزم للقياس الأصولي.

- وأما الفصل الثاني: فقد تناولت فيه تعريف دلالة النص عند الأصوليين وعند ابن حزم الظاهري، ثم تحدثت عن أقسامها والإمثلة عليها، وعلاقتها بالقياس وبينت مذاهب الأصوليين في دلالة النص هل هي لفظية أم قياسية وأدلتهم على ذلك مع الترجيح ثم عرضت أدلة ابن حزم على نفي حجية دلالة النص، ورده على أدلة الجمهور في قولهم بحجية دلالة النص.

- وأما الفصل الثالث: فقد إستعرضت فيه أثر الخلاف في حجية القياس في الفروع الفقهية بين ابن حزم والجمهور، مع ذكر الأمثلة على ذلك.

- وفي الخاتمة: ذكرت أهم النتائج التي تم التوصل إليها في هذا البحث.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

١٤/ رجب/ ١٤١٧هـ

٢٥/ تشرين أول/ ١٩٩٦م

تمهيد في التعريف بالمذهب الظاهري

وفيه مطالب:

- المطلب الأول: نشأة المذهب الظاهري وأسباب نشوئه.
- المطلب الثاني: التعريف بأهم رجال المذهب الظاهري.
- المطلب الثالث: أهم أصول المذهب الظاهري.
- المطلب الرابع: مدى إنتشار المذهب الظاهري.
- المطلب الخامس: رأي المذاهب الأخرى في المذهب الظاهري.

المطلب الأول: نشأة المذهب الظاهري وأسباب نشوئه:

قبل الخوض في أسباب نشوء المذهب الظاهري، لا بد لنا من الحديث عن نشأة هذا المذهب، وسبب تسمية أصحابه بالظاهرية؟

يكاد يجمع المؤرخون على أن أول من أحدث القول بالظاهر هو داود بن علي الأصفهاني. قال ابن النديم: (أبو سليمان داود بن علي بن داود بن خلف الأصفهاني وهو أول من استعمل قول الظاهر، وأخذ بالكتاب والسنة وألغى ما سوى ذلك)(١). وقال الخطيب البغدادي عنه: (هو أول من أظهر إنتحال الظاهر)(٢). وقال في موضع آخر: (هو إمام أصحاب الظاهر)(٣). وقال السبكي: (إمام أهل الظاهر)(٤). وعلى هذا فينسب المذهب الظاهري إلى داود بن علي الظاهري(٥) وتنسب إليه الطائفة الظاهرية(٦).

وقد اشتهر داود بالظاهري نسبةً إلى تمسكه بظاهر الكتاب والسنة فهو يعتبر مؤسس المذهب الظاهري كما ذهب إلى ذلك معظم العلماء(٧). فأتباع داود الظاهري يعرفون بالظاهرية قال ابن خلكان: (وتبعه جمع كثير يعرفون بالظاهرية)(٨). وأما عن سبب تسميتهم بالظاهرية فقد بين العلماء أن سبب ذلك هو أخذهم وعملهم بظاهر الكتاب والسنة(٩). والقول بالظاهر وإن كان أول من أظهره وجعله مذهباً متبعاً هو داود الظاهري، إلا أن له جذوراً عميقة قبل داود الظاهري.

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٠٣.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣٧٤/٨.

(٣) نفس المصدر، ٣٦٩/٨.

(٤) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق د. الطناحي، و د. الخلو، ٢٨٤/٢.

(٥) د. محمد سلام، مذکور مناهج الإجتهد في الإسلام، ص ٦٩٧. و د. محمد أحمد سراج الفقه الإسلامي بين النظرية والتطبيق ص ١٧٨.

(٦) الزركلي، الأعلام ٣٣٣/٢، و د. شعبان اسماعيل، أصول الفقه تاريخه ورجاله، ص ٩١.

(٧) الوائلي المهدي، الإجتهد في الشريعة الإسلامية، ص ٣٧٣.

(٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٢٥٥/٢.

(٩) محمد الحجوي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ١٧٣/٢، و د. صبحي المحمصاني فلسفة التشريع في الإسلامي، ص ٧٢.

يقول صاحب كتاب "داود الظاهري": (إن الإتجاه الى الظاهر له جذور عميقة ممتدة إلى عصر الصحابة- رضوان الله عليهم- وإن كان الإتجاه إليه لم يكن مذهباً ملتزماً في كل الأحوال ولا في جميع المسائل بل كان يخضع لذاتية المجتهد فيما يؤديه إليه إجهاده في بعض المسائل دون بعضها الآخر، فلم يكن الإمام داود الظاهري أول من أظهر القول بالظاهر إلا أنه جعل الإتجاه إلى الظاهر مذهباً ملتزماً يدعو إليه ويتنصر له ووضع اصوله وقواعده^(١)).
ألا أنه لم يبين لنا هذه الجذور ومتى بدأ القول بالظاهر ومن الذي ذهب إليه قبل داود الظاهري.

أسباب نشأة المذهب الظاهري:

بعد هذا التمهيد في نشأة المذهب الظاهري، نود التعرف على أسباب نشأة المذهب الظاهري.

يرى بعض العلماء أن الظاهرية نشأت كرد فعل عن لإتساع إستعمال القياس في الفقه الإسلامي، فقد إنتشر إستعمال الفقهاء للقياس في المنة الثانية للهجرة، وقد (نشط القياس في المنة الثانية للهجرة في مدرسة الفقه كما نشط في مدرسة اللغة والنحو، توطدت أركانه وسمقت معالمه، وصارت له الكلمة في أكثر علوم العصر، وامتد ذلك إلى علوم الشريعة حتى أصبح في بعض المذاهب رابع الأصول الثلاثة الكتاب والسنة والإجماع)^(٢).

ثم بالغ فيه جماعة فقدموه على الإجماع، وغلا آخرون فردوا الأحاديث بالقياس، وأغرق فريق ثالث فصار يؤول الآيات، ويحيد بها عن معناها الذي أنزلت فيه إذا عارض ذلك قياساً له أو رأياً^(٣).

وبعد هذه المبالغة والغلو في إستعمال القياس صار هناك رد فعل وهو دعوة الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة والعناية بعلومهما والعمل بهما، وأخذوا يحذرون الناس من الرأي والقياس، ونشأ تبعاً لذلك كثرة مهاجمة القياس الفقهي من المحدثين ومن أهل الظاهر الذين كانوا يرون أن الشريعة تعبد محض لا مجال فيها للقياس.

ومما يسر لهم هجومهم على أصحاب القياس أن السنة قد جمعت من معظم أنحاء البلاد الإسلامية، وتحصل لهم منها ذخيرة عظيمة في كل فرع من فروع الفقه بحيث لم يعد هناك حاجة إلى القياس في نظرهم^(٤) (في مثل هذا الجو نشر داود بن خلف إمام أهل الظاهر مذهبه في بغداد فمثل

(١) الدكتور عارف خليل أبو عبد داود الظاهري وأثره في الفقه الإسلامي، ص ٦٩٢.

(٢) الأستاذ سعيد الأفغاني، مقدمة ملخص إبطال القياس لابن حزم، ص ٤.

(٣) الدكتور عارف أبو عبد، الإمام داود الظاهري وأثره في الفقه الإسلامي، ص ١٣٢. والأستاذ سعيد الأفغاني، مقدمة

ملخص إبطال القياس والرأي لابن حزم، ص ٤.

(٤) الدكتور عارف خليل أبو عبد، الإمام داود الظاهري وأثره في الفقه الإسلامي، ص ٣٩-٤٠.

الطرف المقابل لغلاة القياسيين، وراج الأخذ بظاهر النصوص وإغفال ما عداها، وعرفت النزعة بالظاهرية، والمذهب بالمذهب الظاهري^(١).

فقد ذهب بعض العلماء المعاصرين إلى أن المذهب الظاهري نشأ كرد فعل في مقابل غلاة استعمال القياس^(٢).

قال الدكتور بسيوني : (نشأ المذهب الظاهري كرد فعل طبيعي للمذهب القياسي والإسراف فيه، وبهذا المعنى يمكن أن نقول إن الظاهرية هي الإتجاه المضاد لحركة المستهينين بالنصوص، فالوقوف عند النص يقابل الإسراف في تجاوزه)^(٣).

بينما يرى البعض الآخر من العلماء أن الظاهرية ما نشأة وسميت بهذا الاسم إلا على سبيل المقابلة بينها وبين الباطنية الإسماعيلية والصوفية.

وقد ذهب إلى هذا الرأي أيضاً بعض العلماء المعاصرين^(٤)، قال الدكتور ممدوح حقي في نشأة هذا المذهب: (أنشأه داود بن علي الظاهري الأصفهاني إرتكاساً لتصرف بعض المفسرين والمؤولين والقصاص وأصحاب الرأي الموسع والباطنية)^(٥).

وقال عبداللطيف شرارة: (ذلك هو المذهب الظاهري في أبرز خطوطه وأوضح مبادئه، فقد كان في جملته رد فعل على الحركات والمذاهب الباطنية)^(٦).

وهذا الكلام لا يصح من عدة وجوه:

الأول: أن الظاهرية قد أسسها داود الظاهري قبل ظهور الباطنية.

ثانياً: أنه لم يعرف اتصال لداود الظاهري بالباطنية.

ثالثاً: أنه لو كانت الظاهرية رد فعل للباطنية لبين ذلك أصحاب المذاهب بينما لا نجد لهم كلاماً في هذا.

رابعاً: إن أهم رجال المذهب بعد داود الظاهري هو ابن حزم لم يكن له كلام على الباطنية إلا بقدر يسير كما رد على معظم الفرق.

(١) الأستاذ سعيد الأفغاني، مقدمة ملحق إبطال القياس والرأي لابن حزم، ص ٦.

(٢) الأفغاني، مقدمة ملخص إبطال القياس والرأي لابن حزم، ص ٦، و د. صلاح الدين بسيوني، الأخلاق والسياسة عند ابن

حزم، ص ٤٨، والأستاذ أحمد أمين ضحى الإسلام ٢٣٦/٢.

(٣) الدكتور صلاح الدين بسيوني، الأخلاق والسياسة عند ابن حزم، ص ٤٨.

(٤) الدكتور ممدوح حقي، مقدمة حجة الوداع لابن حزم، ص ٢٠، وعبد اللطيف شرارة، ابن حزم رائد الفكر العلمي، ص

٧٣.

(٥) الدكتور ممدوح حقي، مقدمة حجة الوداع لابن حزم، ص ٢٠.

(٦) عبداللطيف شرارة، ابن حزم رائد الفكر العلمي ص ٧٣.

وفي معظم كتب ابن حزم مناقشات تؤكد أن الظاهرية مذهب فقهي يجتهد في الفروع
الفقيه ويستنبط الأحكام من الكتاب والسنة مثل بقية المذاهب الأخرى وإن كان عليه بعض
المآخذ^(١).

وتبعاً لهذه الوجوه أرى أن الراجح هو أن المذهب الظاهري نشأ كرد فعل لتوسع الفقهاء في
إستعمال القياس.

(١) د. عبد الحليم عويس، ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ص ٩٢.

المطلب الثاني: التعريف بأهم رجال المذهب الظاهري:

إذا كان داود مؤسس المذهب الظاهري، فمن داود هذا؟ وكيف نشأ؟ وما هو مذهبه الفقهي؟ وما هي مكانته بين العلماء؟.

١- اسمه وكنيته:

يتفق المؤرخون على إسم داود الظاهري وكنيته فهو الإمام داود بن علي بن خلف الأصفهاني الأصل، واشتهر بداود الظاهري نسبة إلى أخذه بظاهر الكتاب والسنة، ولأنه أول من أظهر القول بظاهرية الشريعة، واعتمد على ظواهر النصوص، ويكنى بأبي سليمان^(١).

٢- مولده ونشأته:

يختلف المؤرخون في تاريخ مولد الإمام داود الظاهري فذهب بعضهم إلى أن مولده كان سنة مائتين من الهجرة ٢٠٠هـ، ومن ذهب إلى هذا الخطيب البغدادي^(٢) والسبكي^(٣) والذهبي^(٤) والنووي^(٥).

كما ذهب البعض الآخر إلى أن مولده كان سنة اثنتين ومئتين ٢٠٢هـ ومن ذهب إلى هذا ابن خلكان^(٦) والشيرازي^(٧).

وليس لدينا ما يرجح إحدى الروايتين على الأخرى، هذا مع إتفاق المؤرخين على تحديد مكان ولادته، وأنه ولد بالكوفة^(٨).

٤٧٩١٨٠

وقد نشأ الإمام داود الظاهري ببغداد وليس لدينا في كتب التاريخ والتراجم ترجمة وافية لهذا الإمام تحدثنا عن نشأته الأولى وعن أسرته إلا أنهم ذكروا أنه ولد بالكوفة، ونشأ ببغداد وتعلم فيها

(١) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٨٤، والخطيب البغدادي تاريخ بغداد ٨/٢٦٩، وابن خلكان، وفيات الأعيان

٢/٢٥٥، والذهبي، العبر في تاريخ من غير ١/٣٨٩، وتذكرة الحفاظ ٢/٥٧٢، وابن حجر لسان الميزان ٢/٤٢٢.

(٢) تاريخ بغداد، ٨/٢٧٥.

(٣) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٢/٢٨٤.

(٤) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٢/٥٧٢.

(٥) النووي تهذيب الأسماء واللغات، ٢/١٨٢.

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/٢٥٧.

(٧) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ٩٢.

(٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/٢٥٧، والنووي، تهذيب الأسماء واللغات، ١/١٨٢. والمراغي، الفتح المبين في طبقات

الأصوليين، ١/١٥٩.

وسمع الكثير من محدثي عصره، وروى عنهم الحديث، وانتهت إليه رئاسة العلم فيها، فكان له مجلس يحضره كثير من العلماء^(١).

٣- مذهبه الفقهي:

درس داود الظاهري المذهب الشافعي وكان من المتعصبين للإمام الشافعي، فقد قرأ كتب الإمام الشافعي، وتخرج على تلاميذه وأصحابه، وأخذ داود عن أبي ثور وعن إسحاق بن راهويه من الشافعية، وقد كان داود من المعجبين بالإمام الشافعي حتى عدّه السبكي في طبقات الشافعية الكبرى من علماء الشافعية، وترجم له ترجمة وافية^(٢) مع أن الإمام داود الظاهري من بيت حنفي فقد كان أبوه حنفياً^(٣).

قال الشيرازي: (وكان من المتعصبين للشافعي، وصنف كتابين في فضائله والثناء عليه)^(٤). وكان السبب في تمسكه بالمذهب الشافعي إعجابه بمنهج الإمام الشافعي في التمسك بالنصوص وإعتماده على السنة، وإبطاله للإستحسان^(٥).

لكنه لم يلبث إلا قليلاً أخذاً بالمذهب الشافعي، ثم تحول عنه وانتحل لنفسه مذهباً خاصاً قوامه التمسك بظواهر النصوص من الكتاب والسنة ونفي التعليل والاجتهاد بالرأي بكافة أنواعه من قياس وإستحسان وما أشبه ذلك^(٦).

ولكن لماذا خرج داود الظاهري على المذهب الشافعي رغم إعجابه الشديد بالإمام الشافعي ومذهبه؟

قد يكون من أهم أسباب خروجه على المذهب الشافعي هو ما لاحظته على الإمام الشافعي من أخذه بالقياس في بعض المسائل واعتباره مصدراً من مصادر استنباط الأحكام الشرعية مع أنه أبطل الإستحسان.

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣٦٩/٨-٣٧٠، وابن خلكان، وفیات الأعيان، ٢٥٥/٢-٢٥٦، وأبو زهرة، ابن حزم

حياته وعصره، ص ٢٨٩، ود. حسن الشاذلي، المدخل للفقّه الإسلامي، ص ٢٩٩.

(٢) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٢٨٤/٢-٢٩٣، والكوثري، مقدمة البند في أصول الفقه لابن حزم، ص ٣، ود.

مذكور، مناهج الاجتهاد في الإسلام، ص ٦٩٩.

(٣) د. علي حسن عبد القادر، نظرة عامة في الفقه الإسلامي، ص ٢٧٨.

(٤) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ٩٢.

(٥) أنظر أبا زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ٣٤٦/٢، والدكتور مذكور، مناهج الاجتهاد في الإسلام، ص ٦٩٩، ود. حسن

الشاذلي، المدخل للفقّه الإسلامي، ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٦) أنظر أبا زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ٣٤٦/٢، وابن حزم حياته وعصره، ص ٢٩١.

فخرج داود الظاهري على مذهب إمامه ورفض القياس وأبطله معتقداً أن في إبطال الشافعي للإستحسان إبطالاً للقياس لاحالة^(١).

وعندما سئل داود الظاهري (كيف تبطل القياس وقد أخذ به الشافعي فقال: أخذت أدلة الشافعي في إبطال الإستحسان فوجدتها تبطل القياس)^(٢).

وأياً كان السبب في خروجه على مذهب الإمام الشافعي، فقد وضع لنفسه مذهباً خاصاً، وحدد أصوله وقواعده، وأصبح له فيما بعد أتباع وتلاميذ وكان له إنتشار في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي.

٤ - مكانته العلمية وآراء العلماء فيه:

لقد كان الإمام داود الظاهري حافظاً للحديث لأن فقهه كان يعتمد على النصوص من الكتاب والسنة.

قال السيوطي فيه: (كان بصيراً بالحديث صحيحه وسقيمه)^(٣).

وقال الخطيب البغدادي: (وفي كتبه حديث كثير)^(٤).

كما كان له مجلس علم يحضره جمع كبير من الناس قال الشيرازي: (قيل أنه كان في مجلسه أربعمئة صاحب طيلسان أخضر)^(٥).

وإلى جانب علمه هذا كان كثير التواضع زاهداً متقلداً من الدنيا وزينتها قال الخطيب البغدادي: (كان ورعاً ناسكاً زاهداً)^(٦).

وقد أكثر الناس من مدحه والثناء عليه، فقد عرف بسعة علمه وذكائه قال ابو العباس ثعلب: (كان داود عقله أكثر من علمه)^(٧).

وكان صاحب شخصية قوية يتصف بحضور البديهة، (قال أبو عمرو أحمد بن المبارك المستملي: رأيت داود بن علي يرد على إسحاق بن راهوية وما رأيت أحداً قبله ولا بعده يرد عليه هيبة له)^(٨).

(١) د. مذكور مناهج الاجتهاد في الإسلام، ص ٧٠٠، و د. محمد أحمد سراج، الفقه الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص

١٧٨.

(٢) أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره، ص ٣٩١.

(٣) السيوطي، طبقات الحفاظ، ص ٢٥٧.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣٧٠/٨.

(٥) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ٩٢.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣٦٩/٨.

(٧) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ٩٢، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٥٧/٢.

(٨) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق الدكتور الطناحي، الدكتور الحلو ٢٨٥/٢.

وإلى جانب هذا فقد كان داود الظاهري موصوفاً بالتواضع وحسن العبادة (قال القاضي المحاملي: رأيت داود بن علي يصلي، فما رأيت مسلماً يشبهه في حسن تواضعه) (١).

٥ - نفور العلماء منه وقلت الرواية عنه:

بجانب هذا الثناء والمدح من العلماء في الإمام داود الظاهري إلا أن الفقهاء والمحدثين نفروا منه، وقلت رواية الحديث عنه مع سعة علمه بالحديث قال الخطيب البغدادي: (وفي كتبه حديث كثير، إلا أن الرواية عنه عزيزة جداً) (٢).

فما السبب في نفور العلماء منه وقلت رواية الحديث عنه؟؟

يمكن القول بأن الأسباب كثيرة ومتنوعة ويمكن تلخيصها فيما يلي:

أولاً: لإنتحاله القول بظاهر النص ووقوفه عند ظواهر النصوص دون الخوض فيما وراء ذلك من المعاني.

ثانياً: ما نقل عنه من أنه يقول بأن القرآن الذي بين أيدينا مخلوق، وأنه لا حرج في أن يمس الجنب والحائض المصحف الشريف، وهو بذلك قد خالف جمهور الفقهاء، وقد كان العلماء في عصره يعتبرون من يقول هذا بأنه مبتدع وضال، ولا يؤخذ الحديث في نظرهم من أهل البدع والضلال.

ثالثاً: إنكاره القياس جملة وتفصيلاً، وبهذا فقد خالف جمهور الفقهاء والأصوليين.

رابعاً: محاربته للتقليد، وفتح باب الاجتهاد حتى جراً العامة على القول في الدين.

خامساً: جرأته الشديدة على العلماء وعدم تهيبه أحداً منهم عند المناقشة كما سبق في قول أحد العلماء عنه بأنه رد على إسحاق بن راهوية وما رأى أحداً قبله يرد عليه هيبه له (٣).

٦ - وفاته:

اتفقت المصادر التاريخية على سنة وفاة الإمام داود الظاهري وأنه توفي - رحمه الله - سنة

مائتين وسبعين للهجرة في مدينة بغداد (٤).

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣٧١/٨.

(٢) الخطيب البغدادي، نفس المصدر، ٣٧٠/٨.

(٣) أنظر أبا زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية ٣٤٧/٢-٣٤٨، وابن حزم حياته وعصره، ص ٢٩٢. والدكتور مذكور، مناهج

الاجتهاد في الإسلام، ص ٦٩٨.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ٤٧/١١، والذهبي، تذكرة الحفاظ، ٥٧٣/٢، والمراغي، الفتح المبين في طبقات الأصوليين،

أبو محمد علي بن حزم:

كان من أقوى اتباع هذا المذهب في المشرق والمغرب الإمام أبو محمد علي بن حزم الظاهري، الذي عمل طوال حياته على نشر هذا المذهب والدفاع عنه، ولا أستطيع في هذه العجالة أن أترجم ترجمة ضافية لهذا الإمام الجليل، فقد كُتب فيه مؤلفات (١) ورسائل جامعية (٢) إلا أنني سأترجم له بترجمة موجزة.

١- اسمه وكنيته:

لا خلاف بين المصادر التاريخية في إسم الإمام ابن حزم وكنيته فهو الإمام علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي، ويكنى ابن حزم بأبي محمد، واشتهر بإبن حزم الأندلسي (٣).

٢- أصله ومولده ونشأته:

يرى معظم من ترجم لابن حزم أنه فارسي الأصل، وأن جده الأكبر يزيد هو أول من أسلم من أجداده، وأنه مولى ليزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي المعروف "بيزيد الخير".
وجده خلف بن معدان هو أول من دخل الأندلس من أجداده فهو فارسي الأصل بالولاء، أندلسي الدار (٤).

وهذا النسب الذي ذكره معظم المؤرخين يدل على أنه ينتمي لأسرة فارسية.
وقد حاول معاصره أبو مروان بن حيان التشكيك في هذا الأصل الفارسي كما أنكر صحة ولائه لبني أمية حيث قال: (وقد كان من غرائب إمتاؤه في فارس، وإتباع أهل بيته له في ذلك، بعد حقبة من الدهر تولى فيها أبوه الوزير المعقل في زمانه، الراجح في ميزانه، أحمد بن سعيد بن حزم لبني

(١) أنظر على سبيل المثال أبا زهرة، ابن حزم حياته وعصره، والدكتور عبد الحليم عويس، ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، والدكتور محمد طه الخاجري، ابن حزم صورة أندلسية، والدكتور زكريا إبراهيم، ابن حزم الأندلسي، والدكتور عبد الكريم خليفة، ابن حزم حياته وأدبه.

(٢) أنظر على سبيل المثال سهير فضل الله الشافعي، ابن حزم وأراؤه الكلامية والفلسفية، رسالة دكتوراه من جامعة عين شمس، القاهرة ١٩٧٤م، والدكتور أحمد الناصر أحمد، ابن حزم وموقفه من الاهيات، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٩٨٠م. والدكتور عبد الله الزايد ابن حزم الأصولي، رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر.

(٣) ابن بسام الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ١٦٧/١، والذهبي تذكرة الحفاظ، ١١٤٦/٣، والعبر في خبر من غير، ٣٠٦/٢، وسير أعلام النبلاء، ١٨٤/١٨، والضبي بغية المتتمس، ٥٤٣/٢، وابن بشكوال الصلة، ٦٠٥/٢، والحميدي، جذوة المقتبس، ٤٨٩/٢، وابن العماد، شذرات الذهب، ٢٩٩/٣، وياقوت الحموي معجم البلدان، ١٦٥٠/٤، والسيوطي، طبقات الحفاظ، ص ٤٣٥.

(٤) الحميدي جذوة المقتبس، ٤٨٩/٢، والضبي بغية المتتمس، ٥٤٣/٢، وابن خلكان وفیات الأعيان، ٣٢٥/٣، والذهبي سير أعلام النبلاء ١٨٤/١٨-١٨٥.

أمية أولياء نعمته لا عن صحة ولاية لهم عليه فقد عهده الناس خامل الأبوة مولد الأرومة من عجم لبة، جده الأدنى حديث عهد بالإسلام، لم يتقدم لسلفه نباهة فأبوه أحمد على الحقيقة هو الذي بنى بيت نفسه في آخر الدهر^(١).

وكل من أنكر أصل ابن حزم الفارسي أو شكك في ولائه القرشي أعتمد على هذا النص الذي أورده ابن حيان يستخر فيه من نسب ابن حزم إلى الفرس ويستكثر ذلك عليه.

والذين ذهبوا إلى إنكار أصله الفارسي قالوا بأن أصله من إسبانيا وأن ابن حزم خرج من أسرة من أسبانيا، كانت تقيم في لبة، وكانت تدين بالنصرانية، وظلت على ذلك بعد الفتح الإسلامي بزمان غير يسير، حتى أعتنق حزم الذي يحمل اسمه ويتنسب إليه أبو محمد بن حزم الإسلام في منتصف القرن الثالث الهجري^(٢).

والراجح هو ما ذهب إليه جمهور المؤرخين من أن أصله فارسي.

وقد ولد أبو محمد بن حزم قبل طلوع الشمس، وبعد سلام الإمام من صلاة الصبح آخر ليلة الأربعاء آخر يوم من شهر رمضان من سنة ٣٨٤هـ^(٣).

وهذا هو ما كتبه ابن حزم إلى القاضي صاعد حيث قال: (وكتب إلي بخط يده أنه ولد بعد صلاة الصبح في آخر يوم من شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة)^(٤).

وقد ولد على الجانب الشرقي من قرطبة^(٥).

هذا وقد نشأ الإمام ابن حزم في بيت عز ومال وجاه، وقد وصف لنا الحافظ الذهبي نشأة ابن حزم فقال: (نشأ في تنعم ورفاهية، ورزق ذكاء مفراطاً، وذهناً سيالاً، وكتباً نفيسة كثيرة، وكان والده من كبراء أهل قرطبة)^(٦).

وقد أخبرنا أبو محمد بن حزم عن نشأته الأولى وتربيته، وأن والده قد كلف النساء بتربيته حيث قال: (ولقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري، لأنني ربيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب وحين تفيل وجهي، وهن علمنني، وروينني كثيراً من الأشعار، ودربنني في الخط ... الخ)^(٧).

(١) ابن بسام الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ١٧٠/١.

(٢) الدكتور محمد طه الحاجري، ابن حزم صورة اندلسية، ص ١٧.

(٣) ابن بشكوال الصلة ٦٠٦/٢، والمقري نفح الطيب ٧٨/٢-٧٩، والحميدي جذوة المقتبس ٤٩١/٢.

(٤) ياقوت الحموي معجم الأدباء ١٦٥٠-١٦٥١.

(٥) الذهبي سير أعلام النبلاء ١٨٥/١٨، والمقري نفح الطيب ٧٨/٢ وابن بشكوال الصلة ٦٠٦/٢.

(٦) الذهبي سير أعلام النبلاء ١٨٦/١٨.

(٧) ابن حزم طوق الحمامة في الإلفة والآلاف تحقيق الدكتور الطاهر أحمد مكي ص ٧٩.

ويبدو أن تربيته الأولى وتعليمه كاد يكون مقصوراً على تعلم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن ورواية الشعر.

وعندما وصل ابن حزم إلى سن الشباب صحبه أبوه إلى مجلس المظفر بن أبي عامر^(١). ثم بدأ بعد ذلك بمرحلة جديدة من حياته وهي مرحلة التحصيل العلمي، والتزدد على مجالس العلماء، والأخذ عنهم (وأول سماعه من أبي عمر أحمد بن محمد بن الجصور، قبل الأربعمائه)^(٢). ثم تابع ابن حزم بعد ذلك تحصيله العلمي، وسماعه من العلماء والمحدثين، إلا أن هذا النعيم والعز لم يصفو له فقد تعرض هو وأسرته لنكبات ومحن كثيرة^(٣).

(١) الدكتور عبد الحليم عويس ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ص ٦٢.

(٢) الحميدي جذوة المقتبس ٤٩٠/٢، وانظر الضي بغية الملتبس ٥٤٣/٢.

(٣) الأستاذ عمر فروخ ابن حزم الكبير ص ٥١-٥٤. وعبد اللطيف شرارة ابن حزم رائد الفكر العلمي ص ٣٩-٥١. وسعيد الأفغاني في مقدمة ابن حزم ورسالة المفاضلة بين الصحابة ص ٢٥-٣١. وأبو زهرة ابن حزم حياته وعصره ص ٢١-٢٣.

مذهب ابن حزم الفقهي:

بدأ ابن حزم أول ما بدأ بدراسة المذهب المالكي لأنه كان المذهب السائد في بلاد الأندلس، وكان هو المذهب الرسمي للدولة وللعمامة في ذلك الوقت، وقرأ ابن حزم كتاب الموطأ للإمام مالك^(١).

بينما يرى فريق آخر من العلماء أن ابن حزم لم يكن مالكيًا بل كان شافعيًا ثم تحول إلى مذهب أهل الظاهر.

وفي ذلك يقول بعض العلماء المعاصرين: (لم يعتنق ابن حزم في الفقه المذهب الشائع في بلاد الأندلس لعهدده، وهو مذهب الإمام مالك بن أنس، وإنما إتخذ فيه مذهب الإمام الشافعي، وطفق يدافع عنه حتى عرف به بين العلماء)^(٢).

وهذا ما ذهب إليه معظم المؤرخين من أنه نشأ شافعيًا ثم تحول إلى مذهب أهل الظاهر. قال ابن حيان: (مال به أولاً النظر في الفقه إلى رأي أبي عبد الله محمد بن أدریس الشافعي، وناضل عن مذهبه، وانحرف عن مذهب غيره، حتى وسمَّ به، ونسب إليه)^(٣).

ويؤكد هذا ما قاله الإمام الذهبي: (وكان شافعيًا ثم إنتقل إلى القول بالظاهر)^(٤) وقال المراكشي: (وكان على مذهب الإمام أبي عبد الله الشافعي - رحمه الله - أقام على ذلك زماناً، ثم إنتقل إلى القول بالظاهر، وأفرط في ذلك حتى أربى على أبي سليمان داود الظاهري وغيره من أهل الظاهر)^(٥).

وهكذا نرى أن معظم المؤرخين يرون أن ابن حزم نشأ شافعيًا ثم تحول إلى المذهب الظاهري.

ويبدو أن سبب إعجابه بالمذهب الشافعي هو شدة تمسك الإمام الشافعي بالنصوص، وإعتباره الفقه نصاً، وشدة حملته على من أفتى بالإستحسان^(٦).

لكن ما الذي حمل ابن حزم على الخروج على المذهب الشافعي وإنتحال المذهب الظاهري بعد هذا الإعجاب بالمذهب الشافعي؟

(١) انظر أبا زهرة ابن حزم حياته وعصره ص ٣٨، وص ٩٠، وتاريخ المذاهب الإسلامية ٣٥٧/٢ والدكتور مذكور مناهج

الإجتهد في الإسلام ص ٧٠٤.

(٢) الأستاذ سعيد الأفغاني في مقدمة ابن حزم ورسائله في المفاضلة بين الصحابة ص ٦١.

(٣) ابن بسام الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ١٦٧/١، وانظر ياقوت الحموي معجم الأدباء ١٦٥٥/٤.

(٤) الذهبي تذكرة الحفاظ ١١٤٦/٣، وانظر السيوطي طبقات الحفاظ ص ٤٣٥.

(٥) المراكشي المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٤٩.

(٦) انظر أبا زهرة ابن حزم حياته وعصره ص ٣٩، وتاريخ المذاهب الإسلامية ٣٥٧/٢.